ايطاليا والحرب

انضمّت ايطاليا الى الحلفاء في هذه الحرب الطاحنة واعرب وزيرها الاول عن السبب الذي دعاها الى ذلك وهو انها انضمت الى النمسا والمانيا وكوّنت معها المخالفة الثلاثية لغاية شريفة وهي حفظ الموازنة السياسيّة في اوربا ومنع الحرب. ولكن النمسا اغفلت هذه الغاية باعتدائها على السرب الاعتداء الذي اثار هذه الحرب الاوربية. وقد فعلت النمسا ذلك من غير ان تستشير ايطاليا. وكانت قد فعلت في البلقان افعالاً من شأنها الاجحاف بحقوق ايطاليا فوق ما فعلتهُ من تهديدها وقت الحرب الطرابلسية. فتذرعت ايطاليا الآن الى خوض غمار الحرب بطلبها البلدان التي سواد سكانها من الايطاليين او التي مصالح ايطاليا فيها تفوق مصالح النمسا ولما لم تجبها النمسا الى طلبها شهرت الحرب عليها في ٢٣ مايو بعد اخذ ورد طال امرهما. ولما قام الساسة الالمان والنمسويون يلومون ايطاليا ويقرعونها بقوارص الكلم نهض السنيور سلندرا رئيس وزرائها وخطب في الكابتول خطبة مفحمة بالحجج قال فيها ما ترجمتهُ

«ارسل كلامي الآن الى ايطاليا العظيمة والى سائر العالم. ولكنني اخالف الساسة الالمان والنمسويين فلا اسب مثلهم ولا اشتم شتمهم بل انا اورد الحقائق والادلة لابيّن لكم عظم جهاد اعدائنا في انتقاصنا قدرنا والقضاء على حقوقنا وآمالنا. فقد عمّنا جلالة الملك في خطابهِ الى جنودنا البرية والبحرية ان لا نلقي الكلام على عواهنهِ ولا نرسلهُ من دون ان تثبتهُ ونمحصهُ فقامنا وعظمة بلادنا يقضيان علينا بالتأني والاحتراس

«ان الساسة الحرقاء التي نهجتها المانيا والنمسا في يوليو الماضي اضطرتهما هذه الايام الى شتمنا وسبنا في كلامهما عنا لتلقيا تبعة اعمالهما علينا وتزيدا جنودهما كرهاً لنا وحقداً علينا

«اما انا فلا قبل لي بلن اجاريهما على التفوه بالفاظ هي من بقايا العصور الغابرة لانني في بلاد تفاخر وتباهي بمدنية القرن العشرين

«يزعم رجال حكومتي المانيا والنمسا اننا دسنا المعاهدات فهل هم على حق في زعمهم وهم الذين قتلوا النساء وحرقوا المدن والقرى ودكوا صروح العلم ومزقوا المعاهدات واغرقوا الاتراك وداسوا المدنية والقوانين الدولية

«اننا لم نمزق معاهدة التحالف الثلاثي تهوراً ونزقاً بل خرجنا منها لسبب موجب. فقد بعث السنيور سان جليانو ناظر الخارجية في ٢٥ يوليو الماضي تلغرافاً طويلاً الى حكومة

فينا شرح لها فيهِ خطة ايطاليا . وقال ان تعدي النمسا على سربيا من غير مشاورة ايطاليا في الامر يقضي على المحالفة الثلاثية ويضطر حكومة رومية الى ترك حليفتيها . وفي ٢٧ يوليو و ٢٨ منهُ عرضنا مطاليبنا على حكومتي برلين وفينا وقلنا ان رفض هذه المطاليب يقضي علينا بانتهاج الخطة التي تلائم مصالحنا ومرافقنا

« يقول الكونت تسرنا ان النمسا ابلغتنا انها لا ترغب في ضم بعض املاك سربيا اليها . فهذا القول لا صحة لهُ . ويؤيد نفي لهُ ان سفير النمسا في رومية ابلغ المركيز دي سان جليانو في ٣ يوليو الماضي ان حكومتهُ قد تضطر الى امتلاك بعض المقاطعات السربية . وقال الكونت برختولد لدوق اڤارنا (السفير الايطالي في ڤينا) في ٢٨ يوليو ان النمسا لا يسعها ان تعد وعداً جازماً بانها تحافظ على استقلال سربيا

« وحقيقة الامر ان النمسا والمانيا كانتا تعتقدان اننا ضعفاء وتظنان ان في استطاعتهما ان تغلا ايدينا الى اعناقنا بيضعة ملايين من الفرنكات تنفقانها على الدسائس فتوقعان بين الحكومة والامة نفوراً وشقاقاً

« ولقد كان الجنرال كونارديِ هوتزندروف رئيس اركان الحرب في الجيش النمسوي يفكر دائماً في ان وقوع الحرب بين النمسا وايطاليا محتمل بسبب حوادث البلقان حتى لقد قال « ان ايطاليا تستعد جهدها لقتالنا وستقدم على ذلك متى وجدت اليهِ سبيلاً . وهي تتأدب الآن في احباط مساعينا في البلقان فعلينا ان نضربها ضربة تقصم ظهرها فتخلص في المستقبل من شرها » . واسف هذا الجنرال لان النمسا لم تشهر الحرب على ايطاليا سنة ١٩٠٧ . ولم يكتم ناظر خارجية النمسا عنا ان الاندية النمسوية العسكرية تميل الى محاربتنا لتقضي على آمال الايطاليين الذين في النمسا

« ولقد اظهرنا في اثناء المفاوضات مع النمسا رغبة اكيدة في حسم المشاكل الحاضرة حسماً سلمياً . فتبعة الحرب وتبعة فسخ المعاهدة الثلاثية واقعتان على النمسا وحدها لان ما عرضتهُ علينا لا يتفق مع مصالحنا الحيوية التي هي اولاً الدفاع عن الفكرة الايطالية . وثانياً تعديل الحدود التي أرغمنا على قبولها سنة ١٨٦٦ . وثالثاً تحسين موقفنا في بحر الادرياتيك . فكل هذه المطاليب الحقة رفضتها النمسا رفضاً باتاً

« وقد كفلت المانيا ان تحقق وعود النمسا لنا بعد الحرب ولكن من يكفل لنا ان المانيا تستطيع المحافظة على كلامها ؟ . ومهما يكن من الامر فاننا لو قبلنا ذلك لصارت المحالفة الثلاثية عبارة عن دولة حاكمة او دولتين حاكمتين

انا لا اريد ان اتكلم عن المانيا الاَّ بالاحترام والاعجاب لانني رئيس وزارة ايطاليا ولست وزير الامبراطورية الالمانية فافقد رشدي وصوابي . فمع احترامي لها واعجابي بقوتها وعملها وعظمتها وشجاعتها وحسن نظامها لا يسعني ان اضع بلادي تحت حمايتها . فالغاية التي تتوخاها من هذه الحرب ابرام صلح على اساس استقلال العناصر بحيث تكون المانيا مساوية لسواها من الدول لا سيدة العالم

« اعتقد ان البرنس بيلوف كان محبًّا لايطاليا وانهُ بذل ما في وسعهِ لارضائها ولكنهُ ارتكب في سياستهِ خطاءً عظيمًا محا جميع حسناتهِ . توهم انهُ يستطيع استمالة ايطاليا واكتسابها ببضعة ملايين وزعها على اناس فقدوا ثقة الامة (تصفيق شديد) وبالدسائس التي دسها في بعض الاندية السياسية ولكنني علمت ان هذا البعض لم يوافقهُ على مرامهِ

« ولما رأت الامة الايطالية ان شرفها امين وان سفيراً اجنبيًّا يبذر في بلادها بذور الشقاق ليوقع النفور بين الحكومة والامة ومجلس نواب الامة قامت الامة قومة واحدة للدفاع عن شرفها والذود عن كرامتها وتحقيق امانيها في ساحات القتال »

واشار الوزير في هذه الخطبة الى خطة النمسا وقت الحرب الطرابلسية وكان ظاهرها الانتصار لتركيا على ايطاليا . ولو كان هذا الانتصار مجرداً عن كل غاية نفسية لحق لها المدح عليهِ ولكن اتضح بعد ذلك اولاً ان المانيا كانت تفكر في امتلاك طرابلس الغرب فعاظلها ان ايطاليا سبقتها الى ذلك وثانيًا ان المانيا كانت تتوخى امتلاك البلاد العثمانية كلها او جعلها تحت سيطرتها للتوصل منها الى الهند فلا يوافقها ان ترمح قدم ايطاليا في البلقان ولذلك قاومتها جهدها بواسطة النمسا وكادت تجرها من ثمار حربها

وايطاليا اقدم الممالك الاوربية بعد اليونان ولقد بلغت في زمن بوليوس قيصر وخلفائهِ مبلغاً لم تبلغهُ دولة اخرى في سعة الملك الاَّ الدولة الانكليزية في هذا العصر ثم انقسمت الى دولتين شرقية وغربية وتقلَّص ظلها رويداً رويداً وتقلَّبت الشؤون على ايطاليا وسكانها الى ان انضموا حديثاً تحت لواء بيت سافوى في اواسط القرن الماضي فتكونت منهم المملكة الايطالية الحالية

وكان عدد سكان الولايات التي تألف منها هذه المملكة نحو ١٦ مليوناً سنة ١٨١٦ ثم زادوا رويداً رويداً كما ترى في الجدول التالي

سنة ١٨٦٢	٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠	سنة ١٩٠١	٣٢ ٤٧٥ ٠٠٠
« ١٨٧٢	٢٦ ٨٠١ ٠٠٠	« ١٩١٢	٣٤ ٨١٣ ٩٧٥
« ١٨٨٢	٢٨ ٤٦٠ ٠٠٠	« ١٩١٣	٣٥ ٢٨٨ ٩٩٧

وذلك عدا الايطاليين الذين هاجروا من ايطاليا وقد قدر عددهم سنة ١٩١٠ باكثر من خمسة ملايين ونصف مليون

ولا يخفى ان عدد الرجال الذين سنهم بين ١٨ و ٤٥ هو في الغالب نحو ١٤ في المئة من السكان فيكون عند ايطاليا نحو خمسة ملايين نفس في سن الخدمة العسكرية واذا جندت نصفهم فقط كان لها من الجنود مليونان ونصف مليون

ولقد كانت ميزانية الحكومة الايطالية في العام الماضي من الدخل ١٠٦٢٧٩٨٣٦ جنيهاً ومن النفقات ١٠٤٨٣٧٤٨٤ جنيهاً اي ان دخلها يزيد على نفقاتها ٠ وعليها دين كان مقداره منذ ثلاث سنوات ٥٥٠ مليون جنيه ربحها السنوي ١٨ مليون جنيه ولكن كان عند الحكومة حينئذٍ من الاملاك والمعامل والنقود ما يساوي نحو ٣٣٠ مليون جنيه

والذين يبلغون السن الصالح للخدمة العسكرية كل سنة يؤخذ ثلثهم للجندية ويمرنون التمرين التام والثلث يحسب احتياطياً ويمرّن التمرين الكافي للاحتياطي ويعاد تمرينهُ من وقت الى آخر والثلث الثالث لا يمرّن مطلقاً ولذلك فالثلثان الاولان يبلغان بحسب التعديل السابق ثلاثة ملايين وثلث وهذا مطابق للواقع فان عدد الجيش الايطالي وقت الحرب من النظامي والرديف والاحتياطي والمحلي ..... ٣٢ وغير ذلك منهم التعليم العسكري التام

وعند ايطاليا ١٥ بارجة بعضها من نوع الدردنوط و ١٠ طرادات مدرعة وهي من البوارج و ١٦ طراداً خفيفاً و ٣٣ مدمرة و ٩٤ من سفن التربيد و ٢٠ غواصة ٠ ويعد اسطولها الرابع في اوربا فلا يفوقهُ الاَّ الاسطول الانكليزي والالماني والفرنسوي

ولا شبهة ان انتصار ايطاليا على اخلائها وانضمامها الينا يزيد هذه الحرب هولاً ولكنهُ يقصر مدتها عدا عمَّا لهُ من التأثير الادبي لانهُ اعتراض صريح على خطة المانيا والنمسا وتخطئة لسياستهما ٠ ومن الغريب ان المانيا لم تشهر الحرب على ايطاليا حتى كتابة هذه السطور مع ان هجوم ايطاليا على النمسا يوجب على المانيا ان تنتصر لها وتحارب ايطاليا معها حسب المعاهدة الثلاثية الاَّ اذا حسبت ان النمسا هي المهاجمة ٠ ويقال ان المانيا احجمت عن شهرها الحرب على ايطاليا لان رومانيا تضطر حينئذٍ ان تنتصر لايطاليا حسب اتفاق سابق بينهما

وغاية ما يرجى ان تبلغ هذه الحرب غايتها العظمى وهي الضرب على ايدي شيوخ الحروب حتى تبطل الحرب بزوال مسبباتها وان يتم ذلك باسرع ما يمكن من الزمن واقل ما يمكن من مهج الرجال وبدرات الاموال